

## نفحات القرآن

[226] يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ، أَي أَنَّهُمَا ( الأَصْنَام )  
إِنْ لَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تَضُرَّ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَسْمَعَ نِدَاءَ عِبَادِهَا عَلَى الْأَقْلِ وَإِلَّا لَا مَعْنَى لِعِبَادَتِهَا .  
وَلَكِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَجْرؤُوا عَلَى الْإِدْعَاءِ بِأَنَّ الْأَصْنَامَ الْحَجَرِيَّةَ وَالخَشَبِيَّةَ تَسْمَعُ دَعَاءَهُمْ  
وَتَضُرُّهُمْ ، كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَمْتَلِكُوا دَلِيلًا عَلَى إِثْبَاتِ ضَرِّهَا وَنَفْعِهَا لِتَبْرِيرِ عَمَلِهِمْ ، إِضْطِرُّوا  
لِلْتِمَسُّكِ بِأَسْلَافِهِمْ وَالتَّشْبِيهِ بِالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى وَقَالُوا : ( بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ  
يَفْعَلُونَ ) . وَهَذَا الْجَوَابُ وَإِنْ كَانَ مَخْجَلًا إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَمْلِكُوا شَيْئًا لِيَقْدُمُوهُ . وَفِي طَوْلِ  
هَذِهِ الْآيَاتِ يَرُدُّهُمْ إِبْرَاهِيمُ ( عَلَيْهِ السَّلَام ) ( بِمَنْطِقِ رَصِينِ ) : ( قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَعْبُدُونَ \* أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ \* فَانَّهُمْ عَدَوْ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ \* الَّذِي  
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي  
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ \* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) (1) . أَي أَنَّهُ أَهْلُ  
لِلْعِبَادَةِ فَهُوَ الْمُبْدِءُ لِكُلِّ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ ، لَا تَلْكَ الْمَوْجُودَاتِ الْخَاوِيَّةَ وَالْفَاقِدَةَ لِلْقِيَمَةِ  
. وَتَنْقُلُ الْآيَةَ الثَّلَاثَةَ كَلَامًا لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ وَفِيهَا إِنْعَكَاسٌ لِهَذَا الْمَضْمُونِ بِشَكْلِ آخِرِ حَيْثُ تَقُولُ  
: ( قَالَوا اجْتَنَبْنَا لِتَلْفَتِنَا عَمًّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لِكَمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي  
الْأَرْضِ ) (2) وَعَلَيْهِ ( وَمَا نَحْنُ لَكَ كَمَا بِرِمُّؤْمِنِينَ ) . انَّهُمْ إِسْتَنْدُوا - فِي الْحَقِيقَةِ - إِلَى  
هَذِهِ النِّقْطَةِ فَقَطْ لِإِثْبَاتِ صِحَّةِ مَسْلِكِهِمْ وَقِدَاسَتِهِ وَهِيَ أَنَّ هَذَا هُوَ طَرِيقُ الْأَسْلَافِ وَدِينِهِمْ وَعَادَتِهِمْ  
، وَلَكِنْ يَتَّبِعُوا مُوسَى وَهَارُونَ بِأَنَّهُمَا يَتَّامِرَانِ قَالُوا : إِنَّا كَمَا تَبْغِيَانِ الْحُكُومَةَ عَنْ طَرِيقِ  
الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَهَدْمِ الشَّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مِنْ أَسَاسِهَا وَلَا نَسْمَحُ بِذَلِكَ ! وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا  
الْكَلَامَ أُلْقِيَ مِنْ قَبْلِ زَبَانِيَّةِ فِرْعَوْنَ حَيْثُ عَارَضُوا دَعْوَةَ مُوسَى وَهَارُونَ  
\_\_\_\_\_ 1 - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ : آيَةٌ 75 - 81 . 2 - ( لِتَلْفَتِنَا ) مِنْ (

لَفْتِ ) وَهُوَ الصَّرْفُ عَنِ الشَّيْءِ أَوْ الْإِلْفَاتُ إِلَى الشَّيْءِ لَوْ تَعَدَّتْ بِ ( مِنْ ) فَإِنَّهَا تَعْنِي الْإِنْصِرَافَ  
وَ ( إِلَى ) فَإِنَّهَا تَعْنِي ( التَّوَجُّهَ ) .